

دمية القصر

هو في الصنعة من الفحول وإن كان من الحول وشعره في جنان الفضل من الخور . وقد صاحبه حيناً من الدهر فوجدته من نوادر العصر وطبعه طبع البحري وإن كان البحري وادياً يطم على القرى . ثم له في حسن معاملته مع أهل خطته نيقة أنيقة وطريقة لا تعدل بها طريقة . وكان قاضي القضاة أبو محمد الحسن الناصحي به يعده في المختصين بجانبه ويلحقه بأقاربه دون أجانبه علماً منه بجزالة عقله وغزارة فضله . قرأت له في كتاب قلائد الشرف قصيدة نظامية يقول فيها :

أعطى فقلنا ما سواه جائد ... وسطا فقلنا : ما سواه ذائد .
شغفته أسباب العلا وشؤونها ... لا مبسم رتل وئدي ناهد .
لأبي شجاع في الحروب مشجع ... ولساعديه معاضد ومساعد .
رقدت رعاياه وتحرسهم له ... همم مسافرة ورأي شاهد .
وكأنه للعزم ريح عاصف ... وكأنه للحلم طود راكد .
وإذا تشمر للعدا فرؤوسهم ... للبيض والسمر الطوال حصائد .
هاماتهم لطبي النصال موارد ... وشعورهم فوق الرماح مطارد .
وأنشدني لنفسه في السيد الأجل أبي القاسم الموسوي لنفسه :
علي بن موسى سيد قصد بابه ... غدا سببا لليمن والبركات .
فتى خلقت للمجد أخلاقه العلا ... كما خلق الأفلاك للحركات .
أبا قاسم لولاك في مرو ناقداً ... لضاعت وما باعت بها كلماتي .
وأنشدني لنفسه في مفتصد مليح :
يا من غدت فيه أحوالي منشرةً ... مختلةً غير مرجو تلافيتها .
أشفق على اليد مهلاً لا ترق دمها ... وارفق بها ففؤاد المبتلى فيها .
وأنشدوني له أيضاً من قصيدة أولها :
سقى □ ربعاً بالمحصب دائراً ... حياً ناشراً فيه الأزاهير ناثراً .
ديار إذا وافيتها ظل أدمعي ... جوارى عن طرفي وطرفي عاثراً .
ومنها :
معان ترى للمسك فيها مساقطاً ... لما سحبت فيها الغواني المعاجرا .
وحن بعيري إذ أنخنا وكيف لا ... يشوقني رسم يشوق الأباعرا .
تطرقتها والأرض مخضرة الربا ... فذكرت روض العيش أخضر ناضرا .

ألا أيها الشيخ الإمام الذي غدا ... مطول لفظي عن معانيه قاصرا .
لقد طفت وجه الأرض شرقاً ومغرباً ... وعاشرت من هذا الرجال معاشرا .
فلم أر إلا عن علاك محدثاً ... ولا يسوى طيب امتداحك سامرا .
ركبت إليك الخيل جرداً سلهباً ... جياداً مبلين السيول حوادرا .
وقفن وما أشبهن إلا رواسيا ... وسرن فما أشبهن إلا أعاصرا .
تري الحصيات البلق تحت نعالها ... نوافر يجلين الجراد حوافرا .
إذا نحن سميناك طرن نوازعاً ... ألا من رأى مهراً تحول طائراً .
وأنشدني لنفسه يصف دابةً شهياً للأمير أبي المظفر الماثير ناباذي :
وشهباء تستهوي القلوب بحسنها ... إذا أومضت قلنا وميض شهاب .
وإن عصفت تحت الأمير حسبتها ... مبشرةً بالرزق تحت سحاب .
وأنشدني أيضاً لنفسه فيمن طلب فوق منزلته :
تروم وما للصدر أنت تصدراً ... وتطمع أن تدعى الإمام ولسته .
نصحتك سامق ذروة العلم وارتبط ... شواردته والصدر حيث جلسته .
وأنشدني الحاكم هارون بن أحمد البخارزي قال : أنشدني لنفسه :
لنا في صحبة الأندال سمت ... وفي حمل الأذى والصبر نهج .
فلا تتعجل الشكوى ولكن ... نعاتب ثم نغضب ثم نهجو .
وأنشدني أيضاً قال : أنشدني لنفسه :
أطلق الطبع عند أسر القوافي ... غير ناف عن الجفون كراها .
فإذا جاد باللاكيء فانظم ... وإذا ما أبى فلا إكراها .
وأنشدني له أيضاً :
لقد منيتني الإحسا ... ن تعريضاً وتصريحاً .
وكان الوعد يامولا ... ي في كليهما ريحا .
وقد قتلتنني وإي ... تعذيباً وتبريحا .
فإن لم تنو إمساكاً ... بمعروف فتسريحا .
أحمد بن محمد القائي